ثمّ إنّ هذا الاعتبار العقلائيّ له فوائد كثيرة منها:

١ ـ يُيَسِّر المعاملات ويكيّفها تكييفاً عقلائيّاً، إذ قد يحتاج إنسان الىٰ أن يبيع شيئاً غير موجودٍ له كما في السلم، أو يشتري بثمنٍ لا يملكه. ولا طريق في هذه المعاملات إلّا البيع للسلعة في ذمّته تسلَّم بعد مدّةٍ معيّنةٍ، أو الشراء بثمنٍ في ذمّته يُسلَّم ـ أيضاً ـ بعد مدّةٍ معيّنةٍ إشباعاً للقانون القائل: «لا بيع إلّا في ملكٍ» فإنّ البائع لشيءٍ كلّيٍّ وإن كان لا يملكه عند البيع كي يبيعه إلّا أنّه تكفي مالكيّة الإنسان لنفس ذمّته الّتي هي من سنخ مالكيّته لنفسه ولأعماله. فالإنسان أولىٰ بإشغال ذمّته من غيره، وهو أولىٰ ـ أيضاً ـ بإبقائها علىٰ الفراغ.

٢ ـ قد يمتلك الإنسان المال الخارجيّ وهو لا يريد أن يفقده، وفي نفس الوقت هو محتاج الىٰ إيقاع معاملةٍ علىٰ سنخ ما يمتلكه، فلا طريق له إلّا إيقاع المعاملة علىٰ الذمّة.

٣ ـ قد يقتضي القانون تغريم شخصٍ ما من دون غرضٍ في التحجير علىٰ ماله، كما إذا أتلف شخص مال غيرهِ فيكون المُتلِف ضامناً في ذمّته لمن أتلف ماله، وبهذا يكون المتلف مالكاً لأمواله الخارجيّة، وهو حرٌّ في التصرّف فيها، كما يكون من أُتلِف ماله قادراً علىٰ التصرّف فيما ثبت له في ذمّة المُتلِف من بيعٍ أو هبةٍ مثلاً، وهذا فيه جمع بين الحقّين.

٤ ـ وفي القرض تُصبح عين المال المقترَض مِلكاً للمقترِض، ولكن يستقرّ عوضه في ذمّة المقترض، ويمكن للمُقرِض أن يُوقِع بعض المعاملات علىٰ المال الّذي له في ذمّة المقترِض: كبيعٍ أو هبةٍ معوّضةٍ، كما تقدّم ذلك منّا في بحثٍ مستقلٍّ مستدلّين عليه.

٥ ـ إنّ بعض النظريّات والأحكام الفقهيّة لا يمكن تفسيرها إلّا بافتراض الذمّة، مثلاً:

أ ـ صحّة التزام الإنسان بما لا حدّ له من الديون من دون نظرٍ الىٰ قدرته

وأيّدوا ذلك بحديثٍ رواه عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدّه أنّه قال: قال رسول الله صلّىٰ الله عليه وآله وسلّم: «وليُّ عقدة النكاح هو الزوج».

وإذن تكون الآية ـ علىٰ هذا ـ قد جعلت العفوَ تارةً من الزوجة بأنّها تُسقِط حقّها إذا شاءت، وتارةً من الزوج بأنّه يَهَب النصف الآخر لمن طلّقها إذا شاء[1].

فقد تبيّن: أنّ أساس الخلاف بين المختلفين في مسألة «القُرء» ومسألة «العفو» راجع إلىٰ الاحتمال الّذي وجد في التعبير بلفظٍ مشتركٍ صالحٍ لِأنْ يُراد به أكثر من معنىً، فاحتاج الحمل علىٰ أحدهما إلىٰ قرينةٍ تُعين عليه وترجّحه، وهذا ما فعله كلٌّ من الفريقَين.

٣ ـ ومن ذلك: أنّهم اختلفوا في فهم قوله تعالىٰ: ﴿**والّذين يرمونَ المُحصَناتِ ثمّ لم يأتُوا بأربعةِ شهداءَ فاجلِدُوهم ثمانينَ جلدةً ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً وأُولئك همُ الفاسِقونَ إلاّ الّذينَ تابوا من بعدِ ذلك وأصلحوا فإنّ اللهَ غفورٌ رحيمٌ**﴾[2]. وذلك أنّ هذه الآية قرّرت عدّة أحكامٍ مترتّبةٍ علىٰ القذف، ثمّ جاءت باستثناءٍ، فالأحكام هي:

١ ـ الجلد المفهوم من قوله تعالىٰ: «فاجلدُوهم ثمانينَ جلدةً».

٢ ـ وعدم قبول الشهادة المفهوم من قوله تعالىٰ: «ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً».

٣ ـ وكون القاذف فاسقاً، وهو مفهوم من قوله تعالىٰ: «وأولئك هم الفاسقون».

وقد جاء الاستثناء بعد هذه الجمل المتعاطفة، فهل يعود إليها كلّها، أو يعود إلى الجملة الأخيرة فقط؟

فقال شريح القاضي، وإبراهيم النخعيّ، والحسن البصريّ، وسفيان الثوريّ، وأبو حنيفة: يعود الاستثناء إلىٰ الجملة الأخيرة فقط، وبذلك لا تكون الآية مفيدةً:

---

(١) راجع تفسير القرطبيّ ٣: ٢٠٦، وبداية المجتهد ٢: ٢٠.

(٢) النور: ٤ ـ ٥.

أمر تقتضيه استقامة منطق الأحكام وتخريجها وتأصيلها.

والآن ـ وبعد أن مهّدنا لمعرفة فوائد الذمّة في التشريع ـ نشير الىٰ الفرق بين الذمّة والعهدة في الفقه الإماميّ، فنقول:

الذمة عند الشيخ النائيني :

لقد فرّق الشيخ النائينيّ ـ رحمه الله ـ بين الذمّة والعهدة، فقال علىٰ ما هو المنقول عنه: (إنّ العهدة وعاء للأموال الخارجيّة، والذمّة وعاء للأموال الكلّيّة)[1]. وهذا مأخوذ ممّا يقال في الفقه من: أنّ الغاصب مادامت العين موجودة لم تنشغل ذمّته بشيءٍ، وإنّما كان علىٰ عهدته أن يردّ المال، واذا تلفت العين انشغلت ذمّته بالبدل الكلّيّ[2].

وأُشكل عليه:

١ ـ فيما قد يكون في العهدة أداء مالٍ ما من دون تعيين مالٍ خارجيّ ورغم كلّيّة هذا المال لا يكون شاغلاً للذمّة، كما في نفقة الأقارب الواجبة علىٰ الإنسان.

٢ ـ ربّما يكون المال الكلّيّ مرتبطاً بالعهدة، كما في«مَن أتلف مال غيره فقد انشغلت عهدته بالمال»،حيث يجب عليه إفراغ ذمّته وأداء المال.

الذمة عند السيد الشهيد الصدر :

إنّ الفرق الجوهريّ عند الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ بين الذمّة والعهدة هو: (أنّ الذمّة وعاء للأموال الرمزيّة، والعهدة وعاء للتكاليف وما يلزم علىٰ الإنسان من أعمال)[3].

(١ و٢) منية الطالب في حاشية المكاسب تقريرات الميرزا النائينيّ بقلم الحاجّ الشيخ موسىٰ الخوانساريّ ١: ١٤٥. فإنّ العين التالفة لا يمكن دخولها في الذمّة رأساً، فإنّ الذمّة ظرف للكلّيّات، لا الأعيان، فتلف العين موجب لسقوط الخصوصيّة الشخصيّة، وهذا بخلاف تعذُّر المثل فإنّه لا وجه لسقوطه عن الذمّة. وفي ص١٤١ منه: فإنّه لو تعذّر العين لا ينتقل في العهدة الىٰ القيمة، بل تبقىٰ نفس العين في العهدة. وأيضاً في تقريرات الميرزا بقلم الشيخ الآمليّ نفس المعنيين، فراجع ١: ٣٥٢.

(٣) فقه العقود، للسيّد كاظم الحائريّ: ٤٥ (مخطوط).

ويمكننا القول: بأنّ بين الذمّة والعهدة عموماً وخصوصاً من وجهٍ حيث يجتمعان، فيكون المال الكلّيّ مرتبطاً بالعهدة والذمّة معاً، كما في«مَن أتلف مال غيره فقد انشغلت ذمّته بالمال» وانشغلت‌عهدته به لوجوب إفراغ ذمّته وأداء المال.

وقد يفترقان بأن تكون عندنا عهدة (وعاء التكليف فقط) من دون انشغالٍ للذمّة، كما في نفقة الأقارب الواجبة على الإنسان، فعهدة الإنسان مشغولة بالنفقة، بينما ذمّته ليست مشغولةً بها، ولذا لا ضمان عليه لو ترك فيات ـ مثلاً ـ إذا لم تؤخذ هذه النفقة (الّتي عصى ولم يعطها الى مستحقّها) من تركته.

وقد يكون عندنا ذمّة ولا يكون عندنا عهدة، كما في الطفل الذي أتلف مال غيره ـ مثلاً ـ فانشغلت ذمّته بالمال فقط،ولا يكون على عهدته شيء؛ لعدم تكليفه ـ وهو طفل ـ بشيءٍ من التكاليف، وكذا الأمر في المجنون، وكما لو استدان الطفل مالاً من كافرٍ حربيٍّ فقد انشغلت ذمّته، ولكن ليس على عهدته الأداء، وبإمكانه أن يمتلك ما في ذمّته فيسقط عنه وتفرغ ذمّته[1].

الذمة لاتموت بموت الانسان

فعلى هذا الّذي تقدّم من معنى الذمّة (أنّها وعاء اعتباريّ) وعلى ما تقدّم من

---

(١) نسب بعض الكتّاب الى الإماميّة القول: بأنّ الذمّة عبارة عن العهدة، فقد قال صاحب «نظريّة العقد في الفقه الجعفريّ»: وقال الجعفريّون في فقههم: إنّ الذمّة عبارة عن العهدة، والى ذلك يشير الحديث عن النبيّ ـ صلّى الله عليه وآله ـ: «على اليد ما أخذت حتى تؤدّي» أي: أنّ ما أخذته اليد يبقى في عهدتها الى أن تؤدّيه بنفسه أو ببذله لو كان تالفاً. وقد تكرّر هذا الاستعمال للذمّة في جميع الموارد الّتي تعرّض فيها الفقهاء للضمان. فراجع نظرية العقد في الفقه الجعفري لهاشم معروف الحسنيّ: ٥٧.

أقول: لقد خلط الكاتب خلطاً واضحاً، إذ أعطى الذمّة معنى العهدة الّتي هي: طرف التكاليف الإلهيّة، فإنّ وجوب الردّ حكم شرعيّ طرفه العهدة، وأمّا الضمان فهو يكون لما أُخذ في الذمّة، وأحدهما غير الآخر كما هو واضح.

نعم، لقد ورد على لسان الفقهاء استعمال الذمّة بمعنى العهدة أو العكس، إلّا أنّها استعمالات ليست دقيقةً، لأنّهم ليسوا بصدد بيان معنى الذمّة أو العهدة، بل بصدد بيان أمرٍ آخر، فيقرّبون المعنى بما يتسامح به، ولذا نراهم عندما يتعرّضون لتعريف الذمّة يذكرون ذلك الفرق بينها وبين العهدة كما ذكرنا.

معنىٰ الدَّين (بأنّه مال موجود في الذمّة) يرىٰ فقهاء الإماميّة أنّ ذمّة الشخص لا تموت بموته، حيث إنّها وعاء اعتباريّ قابل للبقاء حتّىٰ بعد الموت، ولذا لا حاجة الىٰ قيام الوارث مقام المورِّث في الدَّين؛ لأنّ الوارث إنّما يقوم مقام المورّث في ما يكون المورّث ميّتاً بلحاظه، وهذا هو الحال بلحاظ الأموال الخارجيّة للمورّث، وبلحاظ ما كان يطلبه من غيره (انتقال الحقّ).

أمّا بلحاظ الديون الثابتة علىٰ الميّت فذمّة الميّت باقية علىٰ حالها ما لم يوفَّ دَينه، ولا مجال لقيام الوارث مقامه، ويوفّي دَينه من تركته، ثمّ يورث المال كما قال تعالىٰ: ﴿مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَىٰ بِهَا أو دَينٍ﴾[1].

إذن، فالإسلام يقول: لا علاقة لدَين الميّت بالورثة، وتبقىٰ ذمّة الميّت مشغولةً بالدَين للآخرين، فيتمكّن أن يتبرّع عنه متبرِّع في أداء ما علىٰ ذمّة الميّت فتفرغ حينئذٍ، وقد يبرئه الدائن فتفرغ الذمّة أيضاً، كما يمكن ضمانها، وعند التبرّع والإبراء والضمان[2] تنتهي ذمّة الميّت، حيث إنّ العقلاء لا يعتبرون ذمّةً بعد ذلك.

هذا، وقد أقرّ الشارع المقدّس هذا الفهم العقلائيّ للذمّة، فقد وردت الروايات الكثيرة عن أئمّة أهل البيت ـ عليهم السلام ـ تقرّر ما اعتبره العقلاء موجوداً حتّىٰ بعد الموت، فمن تلك الروايات:

١ ـ ما رواه محمّد بن مسلم (في الصحيح) عن أبي جعفر [الباقر] ـ عليه السلام ـ حيث قال: «إنّ العبد ليكون بارّاً بوالديه في حياتهما ثمّ يموتان فلا يقضي عنهما الدَّين ولا يستغفر لهما فيكتبه الله عاقّاً، وأنّه ليكون في حياتهما غير بارٍّ بهما فإذا ماتا قضىٰ عنهما الدَّين واستغفر لهما فيكتبه الله بارّاً...»[3].

---

(١) النساء: ١٢.

(٢) المراد بالضمان هنا هو: معناه الإماميّ «نقل المال من ذمّةٍ الىٰ ذمّةٍ ثانيةٍ»، لا بمعنىٰ: ضمّ ذمّةٍ الىٰ ذمّةٍ كما هو عند الجمهور، وحينئذٍ إذا ضمن إنسان ما في ذمّة الميّت فقد برئت ذمّة الميّت من الدَّين.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٣، باب٣٠ من أبواب الدَين والقرض ح١.

۲ ـ وصحيحة صفوان بن يحيىٰ، عن أبي الحسن [الرضا] ـ عليه السلام ـ في رجلٍ قُتِل وعليه دَين ولم يترك مالاً، فأخذ أهله الدية من قاتله، عليهم أن يقضوا دَينه؟ قال: نعم، قلت: وهو لم يترك شيئاً، قال: إنّما أخذوا الدية فعليهم أن يقضوا دَينه[1].

٣ ـ وعن إبراهيم بن عبد الحميد، قال: قلت لأبي عبد الله [الصادق] ـ عليه السلام ـ: إنّ لعبد الرحمٰن بن سيّابة دَيناً علىٰ رجلٍ قد مات، وكلّمناه علىٰ أن يحلّله فأبىٰ، قال: «ويحه، أما يعلم: أنّ له بكلّ درهمٍ عشرة دراهم إذا حلّله، فإن لم يحلّله فإنّما له درهم بدل درهمٍ؟!»[2]. وهي تدلّ دلالةً واضحةً علىٰ أنّ الدَين يبقىٰ في ذمّة الميّت، ولا يسقط حتّىٰ إذا لم يكن للميّت مال.

٤ ـ وصحيحة عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله [الصادق] ـ عليه السلام ـ في الرجل يموت وعليه دَين فيضمنه ضامن للغرماء، فقال: «إذا رضي به الغرماء فقد برئت ذمّة الميّت»[3].

وكلّ هذه الروايات تفيد: أنّ ذمّة الإنسان باقية حتّىٰ إذا مات ولم يكفِ ما لديه لسداد الدَين، أو لم يكن عنده شيء أصلاً، ولا تزول الذمّة إلّا بإبراء الديّان، أو ضمان ما في ذمّة الميّت من قبل شخصٍ آخر قد رضي به الغرماء، أو بوفاء الدَّين من قِبَل ورثة الميّت أو شخصٍ آخر.

خصائص الذمّة

وعلىٰ ما تقدّم من معنىٰ الذمّة عند فقهاء الإماميّة فللذمّة خصائص هي:

١ ـ لا ذمّة للحيوانات، حيث إنّ العقلاء اعتبروا الذمّة وعاءً في الإنسان، لما يجب عليه من حقوقٍ ماليّةٍ كلّيّةٍ، والحيوان لا يجب عليه حقّ ماليّ. نعم، إذا أتلف

(١)وسائل الشيعة:باب ٢٤ من أبواب الدَين ح١.

(٢) نفس المصدر: باب ٢٣ من أبواب الدَين ح١.

(٣) نفس المصدر: باب ١٤ من أبواب الدَين ح١.

الحيوان مال إنسانٍ فيجب علىٰ مالكه الضمان، فتنشغل ذمّته بالمال.

٢ ـ العبد له ذمّة يتبع بعد عتقه، فيستطيع أن يستدين بشرط أن يكون الدَّين متعلّقاً بذمّته يتبع بها بعد عتقه؛ لأنّ العبد وما يملك لمولاه، ويمكن أن يضمن ما في ذمّة العبد ويبرأ ويتبرّع عنه متبرِّع.

٣ ـ الجنين لا ذمّة له وإن كان يمكن أن يُوهَب له أو يُوصىٰ، إلّا أنّ هذا حقّ له في ذمّة غيره، وليس هو حقّاً عليه.

٤ ـ الذمّة من لوازم الشخصيّة، فالوليد هو شخص له صلاحيّة أن تكون عليه حقوق يكون محلّها الذمّة، كما لو فرضنا أنّ إنساناً وليداً قد زوَّجه وليُّه لمصلحةٍ فتجب عليه النفقة للزوجة، فلو فرضنا أنّه لم ينفق عليها الوليّ فيثبت في ذمّة الزوج (مقدار النفقة علىٰ الزوجة)، ولكن لا يجب علىٰ الوليد الأداء؛ لعدم تكليفه بأداء المال. فعلىٰ هذا يكون المولود له ذمّة، وكذلك إذا أتلف الوليد الجديد مال غيره بحيث استند الإتلاف إليه فيثبت في ذمّته مثلُ ما أتلف، أوقيمتُه.

٥ ـ ليس لسعة الذمّة حدّ، حيث إنّها أمر اعتباريّ تتّسع لكلِّ ما يتصوّر من حقوق.

٦ ـ الشخص الواحد ليس له إلّا ذمّة واحدة.

٧ ـ لا اشتراك في الذمّة، أي: لا يكون للذمّة الواحدة أكثر من صاحبٍ واحدٍ، ولذا إذا كان المورِّث مديناً فلا يكون الوارث مسؤولاً عنه، وإنّما المسؤول عن الدَّين هو المورِّث، فإن وفت التركة أُعطي الدائن منها، وإن لم تفِ فيكون الدائن يطلب الميّت، وذمّة الميّت مشغولة بالدَّين الىٰ أن تفرغ بأحد المفرغات المتقدّمة: من تبرُّعٍ عنه أو إبراءٍ أو ضمان.

٨ ـ الذمّة إذا كانت مشغولةً لا تمنع المَدين من التصرّف في أمواله الخارجيّة، أو يضيف الىٰ ذمّته أشياءً أُخرىٰ ماليّة.

٩ ـ التحجير مَن قِبل الحاكم الشرعيّ في صورة ثبوت إفلاسه أو سفهه أو

صغره لا يخرّب الذمّة. نعم، التحجير يمنع المُحجر عليه من التصرّف في أعيان أمواله، كما يمنعه من أن يضيف الىٰ ذمّته ديوناً أُخرىٰ بحيث يشترك الدائن الجديد مع الدُّيّان القدماء. أمّا إذا انشغلت ذمّته بإتلاف مال غيره فيكون للمُتلَف ماله الحقيقيّ ذمّة المُتلِف يتبعه بعد فراغ ذمّته من الديون السابقة علىٰ دينه. كما يمكن للمُحجَر عليه أن يستدين علىٰ أن يدفع المال الكلّيّ للدائن بعد فراغ ذمّته من الديون السابقة، وهذا معناه: أنّ ذمّته باقية رغم التحجير عليه.

١٠ ـ قد تقدّم منّا: أنّ الذمّة لا تخرب بالموت، وإنّما إذا كانت ديون الميّت تستغرق التركة فتوثق الديون بتعلّقها بماله إضافةً الىٰ ذمّته. فتكون حقوقهم في هذه الحالة شبه عينيّة.

أمّا إذا مرض الإنسان مرض الموت فالأولىٰ أن لا تسقط ذمّته. ولا تخرب.

فما ذهب إليه بعض الحنابلة[1] من: (أنّ الذمّة تنهدم بمجرّد الموت؛ لأنّ الذمّة من خصائص الشخص الحيّ، وثمرتها صحّة مطالبة صاحبها بتفريغها من الدَّين الشاغل لها. وأمّا إذا مات فقد خرج الإنسان عن صلاحيّة المطالبة فتنهدم الذمّة. وعلىٰ هذا، إذا مات الإنسان دون أن يترك مالاً فمصير ديونه السقوط، وإن ترك مالاً تعلّقت الديون بماله) ضعيفٌ؛ وذلك لأنّ ثمرة الذمّة ليست هي فقط مطالبة صاحبها بتفريغها من الدَّين الشاغل لها ـ وقد تقدّمت منّا فوائد الذمّة ـ علىٰ أنّ تفريغ الذمّة ليس هو فقط بأداء صاحب الذمّة ما عليه، فقد عرفنا سابقاً: أنّ المتبرِّع يتمكّن أن يُفرِغ الذمّة المشغولة، كما أنّ الإبراء أيضاً كذلك، وكذا الضمان.

ثمّ إنّنا لا ندري ما هو الدليل علىٰ أنّ صاحب الذمّة المشغولة إن لم يترك مالاً عند موته تسقط ديونه؟!!

نعم، الميّت غير مكلّفٍ بأداء الدَين بعد موته؛ لأنّه خرج عن كونه مكلّفاً. أمّا

---

(١) القواعد لابن رجب: ١٩٣، عن الفقه الإسلاميّ في ثوبه الجديد ٣: ٢٣٨.

أنّ ذمّته مشغولة فهو شيء آخر غير العهدة، وهذا لا يزول ولا يسقط بالموت.

إذن، الصحيح ما قلناه سابقاً من: أنّ الذمّة تبقىٰ بعد الموت صحيحةً الىٰ أن تُوَفّىٰ الديون، أو يبرأ من قِبَل الدائنين، أي: يتبرّع عنه متبرِّع، أو يُضمن من قِبَل شخصٍ حيٍّ ويقبل الدائن. والدليل علىٰ ذلك ـ بالإضافة الىٰ ما تقدّم من أنّ الذمّة وعاء اعتباريّ يعتبره العقلاء، والاعتبار سهل المؤونة، فيكون بعد الموت أيضاً ـ ما ورد في الحديث النبويّ الشريف: «إنّ ذمّة الميّت مرتَهَنة بدَينه حتّىٰ يُقضىٰ عنه»[1].

نعم، بالموت يخرج الإنسان عن صلاحيّة المطالبة في الدنيا، كما لا يجب عليه الأداء؛ لعدم تكليفه، لكنّ هذا لا يوجب عدم بقاء الذمّة وصلاحيّتها لأنْ تشتغل بالدَّين، وقد وردت صحّة أن تُشغل ذمّة الميّت بدَينٍ جديدٍ متفرِّعٍ عن سببٍ سابقٍ: كما لو باع شخص شيئاً وتوفّي وردّ بعد الموت بعيبٍ فيه، فإنّ ذمّة البائع تشتغل بثمنه الواجب الردّ. وكذا لو باشر في حياته سبباً من أسباب الضمان: كمن حفر حفرةً في الطريق العامّ ثمّ مات فتردّىٰ حيوان في الحفرة بعد موته، فإنّ ذمّة الحافر تشتغل بضمان قيمة الحيوان فتؤخذ من تركته.

والىٰ هذا الرأي ذهب الشافعيّة[2]، وهو رأي المالكيّة وفريق من الحنابلة أيضاً[3].

وممّا تقدّم ـ أيضاً ـ يبطل القول الحنفيّ القائل: إنّ الذمّة تضعف بالموت ولكن لا تنهدم، أي: يبقىٰ للذمّة ما تقتضيه الضرورة، وهذا الضعف يبدأ من مرض الموت، لذا توثق الديون الّتي علىٰ الميّت بتعلّقها بماله تقويةً لذمّته.

---

(١) الحديث أُخذ عن كتاب الفقه الإسلاميّ في ثوبه الجديد ٣: ٢٢٨. والظاهر أنّه لم يرد في كتب الإماميّة مثل هذا النصّ، إلّا أنّه موافق لنصوصٍ كثيرة تؤيّد هذا المعنىٰ. وفي سنن الترمذيّ ٣: ٣٨٩ باب الجنائز: «نفس المؤمن معلّقة بدينه حتّىٰ يقضىٰ عنه».

(٢) حاشية الرمليّ علىٰ إسناد المطالب ١: ٢٣٥ عن الفقه الإسلاميّ في ثوبه الجديد ٣: ٢٢٩.

(٣) الفقه الإسلاميّ في ثوبه الجديد ٣: ٢٢٩.

ودليل بطلان هذا القول هو: أنّ تعلّق الديون الّتي على الميّت بأموال الميّت الخارجيّة ليس معناه خراب الذمّة، حيث إنّ هذا حكم مستقلّ دلّت عليه الروايات القائلة:«إذا مات المدين حلّت جميع ديونه» وبما أنّه«لا تركة إلاّ بعد سداد الديون»[1]. فحينئذٍ تباع التركة وتسدّد الديون، وهذا كما ترىٰ لا ارتباط له بفساد ذمّة الميّت.

نعم، ذمّة الميّت لا يمكن أن تشغل بحقٍّ ماليٍّ كلّيٍّ جديدٍ؛ لأنّ الإنسان هو الّذي يشغل ذمّته بنفسه؛ لأنّه هو المالك لها علىٰ حدّ ملكيّته لنفسه ولأعماله، وبما أنّه قد مات فلا يتمكّن أيّ شخصٍ من إشغال ذمّته بعد الموت، وهذا أيضاً لا ارتباط له بخراب الذمّة، إذ عدم إمكان إشغال الذمّة في حالٍ معيّنٍ ليس معناه: أنّه لا ذمّة، أو أنّها قد خربت.

قل بفضل الله وبرحمته فبذلک فليفرحوا
هو خير مما يجمعون

امتِ مسلمہ کو ماہِ میلادِ مصطفیٰ صلی اللہ علیہ وسلم

مبارک ہو

آیئے مل کر عہد اور کوشش کریں کہ ہم اب پہلے سے زیادہ حضور صلی اللہ علیہ وسلم کی اتباع کریں گے۔

مجلس ادارت : مجلہ فقہ اسلامی کراچی

(۱) هذه القاعدة مستفادة من الآية ۱۲ من سورة النساء القائلة: ﴿مِن بَعدِ وصيّةٍ يُوصىٰ بها أو دَينٍ﴾.

rejoined angrily, "I am relating to you what the Messenger of Allah said and you are qualifying it with your books!"[23]

· Malik bin Dinar relates that 'Umar (ra) bin al-Khattab (ra) said, "Whoever has a lack of shyness will have a lack of scrupulousness. Whoever has a lack of scrupulousness will have a dead heart."[24]

· Anas bin Malik relates that the Prophet (PBUH), said, "Every faith community has a distinguishing characteristic. The distinguishing characteristic of Islam is shyness."[25]

· 'Imran bin Husayn relates that the Prophet (PBUH), said, "Surely, shyness only brings good."[26]

· 'Abdullah bin 'Amr bin al-'As relates that the Prophet (PBUH), said, "Surely, the best of companions with Allah are the best of them with their companions, and the best of neighbors with Allah are the best of them with their neighbors."[27]

'A'isha relates that the Prophet (PBUH), said, "Gabriel continued to admonish me concerning the neighbor until I thought he would make him an heir."[28]

---

[23] Ibid. pp. 37-38.

[24] Ibid. p. 40. This type of narration, related directly from Umar (ra), the second Caliph, after the passing of the Prophet Muhammad, ﷺ, is referred to as Hadith Mawquf. It is mentioned by Ibn Abi Dunya in his collection. We have retained it even though it is not related directly from the Prophet, ﷺ.

[25] Ibid. p. 41.

[26] Ibid. p. 41.

[27] Ibid. p. 92.

[28] Ibid. p. 101.

· 'Amr bin al-'As relates that he heard the Prophet (PBUH), say, "There are forty character traits, the loftiest of them is to lend someone your ewe [to benefit from its milk]. No one acts on any one of them, anticipating its reward, affirming the promise associated with it, except that Allah enters him into Paradise because of it."[18]

· Ibn 'Umar (ra) relates that the Prophet (PBUH), said, "Two traits are among the characteristics of the Arabs and are religious pillars, you are on the verge of leaving them: shyness, and noble character."[19]

· 'Amr bin 'Abasa relates that he asked the Prophet (PBUH), "What is faith?" He replied, "Patience and a magnanimous spirit." 'Amr then asked, "What is the best form of faith?" He replied, "Good character."[20]

· Anas bin Malik

relates that the Prophet (PBUH), never confronted anyone in a manner disliked by that person.[21]

· Sa'id bin al-Musayyib relates that the Prophet (PBUH), said, "A paucity of shyness is a form of disbelief."[22]

· 'Imran bin Husayn relates that he heard the Prophet (PBUH), say, "Shyness embodies all good." Al-'Ala bin Ziyad responded, saying, "We find in our books that it involves weakness." 'Imran

[18] Ibid. p. 23.
[19] Ibid. p. 29.
[20] Ibid. p. 31.
[21] Ibid. p. 37.
[22] Ibid. p. 37.

related without comment to encourage personal reflection on their deeper significance for our current condition.

· Ibn 'Abbas relates that the Messenger of Allah, said, "Whoever would be pleased to be the noblest of people, let him be mindful of Allah. Whoever would be pleased to be the strongest of people, let him trust in Allah. And whoever would be pleased to be the wealthiest of people, let him be more confident in what Allah possesses than with what he finds in his own hand.[13]

· Sahl bin Sa'd relates that the Prophet (PBUH), said, "Surely, Allah is munificent, He loves munificence. He likewise loves noble characteristics and hates pettiness."[14]

· Anas bin Malik relates that he heard the Prophet (PBUH), say, "Noble characteristics are among the actions of those destined for Paradise."[15]

· 'Uqba bin 'Amir relates that the Prophet (PBUH), said to him, "O, 'Uqba! Shall I inform you of the loftiest characteristic of the denizens of this world and the next? Join relations with those who break them with you. Give freely to those who deny you. And pardon those who oppress you."[16]

· Abu Hurayra relates that the Prophet (PBUH), said, "Seek exaltedness with Allah." It was said, "What does that involve, O, Messenger of Allah?" He replied, "Join relations with those breaking them with you. Give freely to those who deny you. And forbear with those offending you out of ignorance."[17]

[13] Ibid. p. 19.
[14] Ibid. p. 19.
[15] Ibid. p. 20.
[16] Ibid. p. 22.
[17] Ibid. p. 23.

through principled, ethically lofty behavior. As the verse after the one being discussed proceeds to remind us. No one is granted this lofty state except those who patiently persevere; and no one is granted it except the possessor of a great portion. [Al-Qur'an 41:35] Imam Burusawi describes that great portion as:

[...a great portion] of personal virtues and spiritual strength. Preoccupation with revenge only exists because of the soul's weakness, and its propensity to be affected by external stimuli. When the soul is strong in its essence it is not affected by external stimuli. When it is not affected by such stimuli, it is easy for it to bear abuses and not be preoccupied with revenge.[9] One of the great losses we suffer as Muslims when we make politics our first priority is that we lose sight of the fact that our Prophet (PBUH) has introduced to the world the most refined system of spirituality and ethics known to humanity. Inaugurating and laying the foundation for the perpetuation of that system was at the heart of his mission. It is only on the basis of that system that any meaningful worldly accomplishments are possible. It is therefore fitting that the Prophet (PBUH), proclaimed, "I have only been sent to perfect noble character."[10]

Some Ethical Sayings of the Prophet.[11]

The following is a collection of some of the ethical sayings of the Prophet (PBUH), peace and blessings of Allah be upon him. They are selected from the work of the great master of prophetic tradition, Ibn Abi ad-Dunya. He mentions these sayings in his book, Makarim al-Akhlaq (Noble Character Traits).[12] They are

[9] Ibid. 8:353.

[10] Al-Bayhaqi, 10:323, no. 20782.

[11] For an excellent compilation of general ethical sayings of the Prophet Muhammad, see Shaykh al-Amin 'Ali Mazrui, The Content of Character: Ethical Sayings of the Prophet Muhammad, trans. Hamza Yusuf (London: Sandala LLC, 2005).

[12] Imam Ibn Abi ad-Dunya, Makaram al-Akhlaq (Cairo: Maktaba al-Qur'an, n.d.).

not urge the arduous traversing of the obstacles leading to them until he himself had traveled that difficult road. It is by traveling that road that we turn away from the creation and orient ourselves towards the Creator.

Not equal are good and evil. Repel [evil] with what is best; you will unexpectedly see one with whom you had enmity become an intimate friend. [Al-Qur'an 41:34]

The Prophet's (PBUH), cousin and close companion, Ibn 'Abbas, may Allah be pleased with him, is related as saying concerning this verse:

Allah commands the believers with patience in the presence of anger; forbearance in the face of ignorant acts; and pardoning when offended. If they do that Allah will protect them from Satan and subdue their enemies.[7] Imam Al-Burusawi mentions in his commentary:

Not equal are good character traits and vile ones in the reward they incur and the outcome [they lead to]. If you patiently persevere in the face of their abuses and ignorance, leave off pursuing revenge against them, and pay no attention to their foolishness, you merit exaltation in this world, and a great reward in the next. They [your enemies] will merit the opposite. Do not allow their boldness in entertaining vile character traits prevent you from engaging in good ones.[8]

No single verse could better embody the spirit of Islamic ethics [Al-Qur'an 41:34]. Not only does it prescribe a lofty course of action, it also shows how that action, far from leading to worldly weakness, is a source of worldly strength and exaltation. However, if one is not in touch with Allah, one cannot perceive the veracity of His promise, or the scope of His power. Regardless of our perceptions, Allah has the power to transform our enemies into friends. However, in a worldly sense, we unleash that power

[7] Imam Jalal ad-Din as-Suyuti, Ad-dur al-Manthur fi Tafsir bil-Ma'thur (Beirut: Dar al-Ihya at-Turath al-Islami, 2001/1421), 7:282.

[8] Al-Burusawi, 8:351.

mentioned above, we could interpret the tradition to mean, "I was only sent to make people more Allahly." This idea that Islam is a path to Allahliness has to be stressed in these days when many Muslims view it strictly as a path to worldliness. That worldliness has contributed to the Muslim community, generally speaking, falling ever further down the slippery slope of political expediency. Political involvement is certainly a critical aspect of Islam. However, political expediency cannot provide ex post facto determinants of our values and principles. Those have been determined, a priori, by Allah.

This idea of Allahliness is not something strange in our religion. The 12th century jurist, Al-'Izz bin 'Abd as-Salaam, one of the greatest latter day scholars, mentions in his book "Shajara al-Ma'arif w'al-Ahwal":

No one is suitable for the supporting friendship of The Judge (Almighty Allah) until he rectifies himself with the etiquettes of the Qur'an, and he adorns himself with the Attributes of the Most Merciful, to the extent humanly possible. He (Allah) is most excellent and He commands [His servants] with excellence. He is most generous and He commands generosity. He beautifies and He commands beautification. He is the Benefactor and He commands extending benefit. He relieves and He commands bringing relief. He is All Forgiving and He commands forgiveness. He conceals faults and He commands the concealment of faults. He repairs and restores and He commands restoration.[6]

Enduring trials, tribulations, and bearing abuses are the crucibles through which the ability to move towards this state of Allahliness is forged. Because the Prophet (PBUH) is our leader in guiding us to this standard, in word and deed, no one was more tired or abused than he. He could not order anyone to adopt these characteristics, until he himself had adopted them, just as he could

[6] Imam 'Izz ad-Din 'Abd al-'Aziz bin 'Abd as-Salaam as-Sulami, Shajara al-Ma'arif w'al-Ahwal (Beirut: Dar al-Fikr, 1998/1419), p. 67.

He would be reminded years later that his actions would never affect the fate of those opposing him. Allah mentions in that regard, You have nothing to do with the outcome of their affair [O, Muhammad!] Whether He accepts repentance from them, or punishes them, they are indeed wrongdoers. [Al-Qur'an 3:128]

In this verse, Allah reminds His Prophet (PBUH), that He is in control. The control of the affair of the universe is with Him. As for the Prophet (PBUH), his job is to convey the message, and not to burden himself by worrying about the ensuing outcome. In conveying the message, the Prophet (PBUH), is instructed to adopt the highest ethical standard, a standard that is established by Allah, not by himself, nor any other human agent. Allah says, surely, you are on an exalted standard of character. [Al-Qur'an68:4]

'A'isha, the blessed wife of the Prophet, may Allah be pleased with her, was asked to describe the character of the Prophet (PBUH). She responded:

He was not foul in his actions, nor in his speech; he was not boisterous in the marketplace; he did not retaliate in kind to vile acts perpetrated against him; rather he pardoned and forgave."[3]

This tradition involves a detailed explanation of a more general description given by 'A'isha of the Prophet (PBUH). She mentioned that his character was an embodiment of the Qur'an.[4] In other words, his character was Allahly, for the Qur'an is the eternal Speech of Allah.

Here we should pause and reflect on the mission of the Prophet (PBUH). He mentioned, describing that mission, "I was only sent to perfect good character."[5] Consistent with what we

---

[3] Imam Abu 'Isa Muhammad bin 'Isa at-Tirmidhi, Jami' at-Tirmidhi (Riyadh: Dar As-Salaam, 1999/1420), p. 465, no. 2016.

[4] See Imam Abu Ja'far Muhammad bin Jarir at-Tabari, Jami' al-Bayan fi Ta'wil al-Qur'an (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1997/1418), 12:179-180, nos. 34559, 34560, 34561, 34562.

[5] Imam Abu Bakr (ra) al-Husayn bin 'Ali al-Bayhaqi, As-Sunan al-Kubra (Beirut: Dar al-Kutub al-'Ilmiyya, 1994/1414), 10:323, no. 20782.

fold of Islam his bitterest enemies – Abu Sufyan, 'Amr bin al-'As, Khalid bin al-Walid, Ikrima bin Abi Jahl, and many others. Therefore, proclaim openly what you have been ordered [to convey], and turn away from the idolaters. We will suffice you against those who mock you. Those who make another Allah with Allah; soon they will know. We know that your heart is greatly grieved by what they say. Glorify the praises of your Lord and be amongst those dutifully and consistently prostrating [unto Him]. And worship your Lord until death comes to you. [Al-Qur'an 15:94-99]

This group of Qur'anic verses revealed in Makkah also involves consolation for the Prophet (PBUH), in the face of his people's abuse. The gist of this passage is that Allah will assume the responsibility for taking revenge against his tormentors. The Prophet (PBUH), is commanded to turn away from his enemies, leaving Allah to deal with them. Abu Su'ud, a 16th Century Qur'anic scholar, comments on this instruction, "That is to say, do not pay any attention to what they say, do not be concerned with them, and do not begin to think of vengeance against them."[1] It is mentioned that these verses were revealed concerning five of the notables of the Quraysh who were especially abusive towards the Prophet (PBUH). Allah dispatched the Angel Gabriel to deal with them and they all died terrible deaths, with the exception of Al-Aswad bin al-Muttalib, who lived, but went blind after Gabriel pointed to his eyes.[2] The Prophet (PBUH), is instructed to proclaim the message, to forge on in his work of propagation, and to deepen his devotion and remembrance of Allah. As for the fate of his enemies, Allah would deal with them.

[1] Abu Su'ud Muhammad bin. Muhammad al-Hanafi, Tafsir Abi Su'ud (Beirut: Dar al-Kitab al-'Ilmiyya, 1999/1419), 4:36.
[2] Ibid. 4:37.

I would argue that the images that insinuate a connection between our Prophet (PBUH), and terrorism are more informed by the hijackings, kidnappings, beheadings, and cold-blooded murder of unsuspecting civilians, all of which characterize many of our recent political struggles, than to any inherent biases or prejudices among the people of Europe and America. If we Muslims are going to contribute to changing how Islam and our Prophet (PBUH), are viewed in the West, we are going to have to change what we ourselves are doing to contribute to the caricaturing of Islam. That change can only be affected by sound knowledge coupled with exalted practice, and reviving the lofty ethical ideal of our beloved Prophet (PBUH).

Relevant Ethical Teachings from the Qur'an You will surely be tested in your wealth and your lives. And you will hear from those given the scriptures before you and from the idolaters much abuse. If you patiently persevere, and remain mindful [of Allah], surely in this is a manifestation of firm resolve. Al-Qur'an 3:186

An examination of the ethical standard of the Prophet Muhammad (PBUH), relevant to the current crisis, must begin by looking at certain critical Qur'anic verses. We will begin by examining the above passage. This verse was preemptively revealed as consolation to the Prophet (PBUH), and his followers in anticipation of the abuse that would be heaped upon them from parties amongst the Jews, Christians, and idolaters. In the face of that abuse a course of action was prescribed. Namely, that they patiently endure those abuses and remain mindful of Allah in the face of the negative propaganda that would increase as their worldly power grew. The strategic benefits of this policy would be realized years later in the bloodless conquest of Makkah. That conquest was made possible in large part because the Prophet (PBUH), did not cultivate a spirit of vengeance and retaliation in his followers. Nor did he cultivate in them a deep hatred for the people he was commissioned to call to Islam. It was on the basis of this spirit that he was able to fully accept and welcome into the

5. The Ethical Standards of the Prophet Muhammad (PBUH)

Imam Zaid Shakir

Imam Zaid Shakir is one of the most respected and influential Islamic scholars in the West. As an American Muslim who came of age during the civil rights struggles, he has brought both sensitivity about race and poverty issues and scholarly discipline to his faith-based work.

The following is a transcribed lecture which was delivered in Zaytuna Institute, U.S.A in 2006. It highlights the moral teachings and practices of Prophet Muhammad (PBUH) . It has been taken from the following website:
http://www.mercyprophet.org/mul/node/919

The ongoing "Cartoon Crisis" raises several issues. One of the most important is the incumbency of seeing the ongoing crisis as an opportunity to educate people in the West about our blessed Prophet, (PBUH). Along those lines, one of the greatest things we can do is to teach about the exalted ethical standard introduced by our Prophet (PBUH). That ethical standard is the bedrock of his mission and message.

In an age of instantaneous communications and global media it is important for Muslims to reaffirm our commitment to the prophetic ethical ideal. Under prevailing conditions, the sensationalized excesses of some Muslims, excesses that contradict the ethical teachings of our Prophet (PBUH), are often used to distort the perception of Islam in the West. That distortion in turn helps to create prejudiced attitudes towards Islam and Muslims.